أساليب الخطاب الإقناعي في كتاب (سر صناعة الإعراب) لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) (دراسة تأصيليَّة)

المدرس الدكتور ياسمين عدنان نعمة حسن

الجامعة العراقية - كلية العلوم الإسلامية - قسم اللغة العربية

Persuasive Discourse Strategies in Sirr Sina at al_ I rab

by Abu al _ Fath Uthman ibn Jinni (d. 392 AH)

An Foundational Study

Yasameen Adnan Neamah

Degree: Professor Doctor

Aliraqia University / College Of Islamic Sciences Department

Of Arabic Language

yasameen.a.neamah@Aliraqia.edu.iq

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 5 | العدد 43
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.5 | Issue 43
ISSN: 2225-9732
August 2026

المستخلص

الحمدُ للهِ الحسيبِ الرَّقيبِ المجيبِ وأُصلِّي وأُسلِّمُ على نبيِّنا وآله محمَّد الحبيب .
أمَّا بعدُ؛
إنَّ هذا البحث يعدُّ محاولة تأليفية تظهر المقصد الحقيقي منها ونعني تسليط الضوء على سبل التأثير والإقناع في التأليف، فالإقناع ضمان يعصم (المتلقي) من الخطأ كونه أداة ترشده إلى تصحيح الأفكار والآراء . وقد كان (الإقناع) عند ابن جني مؤصَّلًا في أنسجة اللغة اقتضاه المجال التعليمي . إذا وقف قارئ كتاب (سر صناعة الإعراب) عليه وجد حقيقة هذا . ممَّا أوجب حقّ بحثه في إطار تحليل اللغة بما آلت إليه قدراته الخطابية الإقناعية المقتضية لمعارف وظَّفها في تحريك الذات المتلقية فصدر عن هذه المعالجات ريادة لابن جني في الخطاب الإقناعي . وعليه سينتظم هذا البحث في مقدِّمة وتقسيمات رئيسة ذكرت على الشكل الآتي: التَّمهيد، المبحث الأوَّل: الأساليب الإقناعية في كتاب (سر صناعة الإعراب).
المبحث الثَّاني: أساليب الإقناع العاطفية .
المبحث الثَّالث: أساليب الإقناع العقلانية .
الخاتمة .
المصادر .
الباحث .

Abstract:

Praise be to Allah, the Reckoner, the Watchful, the Responsive. And peace and blessings be upon our Prophet and his family, Muhammad the Beloved. And now,.

This study represents an original scholarly attempt intended to reveal its true objective, namely, to shed light on the means of influence and persuasion as a safeguard that protects the recipient from error, since persuasion serves as a tool that guides the recipient toward correcting ideas and opinions.

According to Ibn Jinni, persuasion was deeply embedded within the structures of language and was necessitated by the educational context. A reader of his work The Secret of the Art of I'rab (Sirr Sina'at al - I'rab) readily perceives this reality, which justifiably called for examining the subject within the framework of linguistic analysis. Ibn Jinni employed his persuasive rhetorical abilities, supported by various branches of knowledge, to stimulate and engage the recipient's intellect. Accordingly, these analyses demonstrate Ibn Jinni's pioneering role in persuasive discourse.

Accordingly, this research is organized as follows:

· Introduction

· Main details, mentioned as follow;

· Preface,

· Topic One: Persuasive Techniques in The Secret of the Art of I'rab (Sirr Sina'at al - I'rab)

· Topic Two: Emotional Methods of Persuasion

· Topic Three: Rational Methods of Persuasion

· Conclusion

· References

Researcher

المقدّمة

يميل كتاب «سر صناعة الإعراب» لابن جني ـ رحمه الله تعالى ـ إلى اللغة أكثر من النحو، فما أراده صاحبه تحديد كنه كل حرف من حروف العربية ووظيفته اللغوية والإعرابية، ومن ينعم النظر فيه يتكوَّن لديه تصورٌ واضحٌ أنَّ دراسته للحروف فيها شيء من التكامل بين اللغة والنحو، وأنَّهُ حرص في تناوله لها على ضرب الأمثلة وشرح الأسباب وتوظيف مهارات الإقناع وهو في هذا كلّه يعتمد على رجاحة عقله ومخزونه المعرفي واللغوي. وقد قصر ابن جني غرضه في هذا الكتاب على ذكر أحوال الحروف منتزعة من الأبنية التي هي مصوغة فيها لما يهمها من القول في ذاتها، وذكر طريقته في إيراد ذلك بأنَّه آثر أن يقرو ذلك على ترتيب حروف المعجم، دون مدارج الحروف [1]. وتتضِّح رغبته في إيصال المادة اللغوية إلى القارئ وتحقيق تلك الغاية في قوله الذي نفهم منه أنَّه رسم أن يضع كتابًا يتضمَّن جميع أحكام الحروف، وأحوالها، وكيف مواقعها في كلام العرب. وأن يتقصَّى القول في هذا، ويشبعه ويؤكِّدهُ وأنَّه سيبلغ من هذا فوق قدر الكفاية، بإذن الله ومعونته، ويحرز فيه قصب الغاية، ويجتنب مع هذا الإطالة والإسهاب، بتوفيق الله، إلا فيما أثار دفينًا أو تضمَّن نكتًا، ويتّبع كل حرف من حروف المعجم ممَّا رواهُ عن حذَّاق أصحابه وجلَّتهم، وحذاهُ على أمثلتهم ومقاييسهم، ما يقدِّر أنَّ فيه بلوغًا لأمد المتلقي، وإصابةً لغرضه.[2]

ومن المعروف أنَّ الإنسان مفطور على التعايش والتواصل مع غيره ليحقق أغراضًا اجتماعية وعلمية وغيرها، وهذا يتطلب منه أن يعرض أفكاره ويبدي وجهة نظره وحتى يبلغ ذلك كان لزامًا عليه أن يتخذ استراتيجيات وأساليب معينة من شأنها إقناع المتلقين. وهذا ما فعله ابن جني لذلك جاء هذا البحث ليعرض تلك الأساليب ويسلِّط الضوء على طول باع ابن جني في مجال اللغة وتمكّنه من توظيف أساليب فعَّالة في شد انتباه القارئ وجذب انتباهه. لذا جاء هذا البحث موزعًا كالآتي: التَّمهيد: استراتيجيات الإقناع:

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ١٨

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ١٥_١٦

المبحث الأول: الأساليب الإقناعية في كتاب سر صناعة الإعراب.

المبحث الثاني: أساليب الإقناع العاطفيَّة. موزَّعة على الشكل الآتي: أ / الأساليب اللغوية: ١_ الاستفهام، ٢ _ الأمر، ٣_ التوكيد، ٤_ التكرار. ب / التمثيل التشبيهي. ت / الإقناع بالشخص ومكانته العلمية.

المبحث الثالث: أساليب الإقناع العقلانيَّة. موزَّعة على الشكل الآتي: أ / القياس. ب / التعليل. ت / الحوار الافتراضي.

التمهيد:

استراتيجيات الإقناع: لقد كانت وما زالت مهارة استخدام اللغة للتأثير على آراء الآخرين وسلوكهم مهارة مهمة بالفعل، ومع ازدياد نمو وتطور المجتمعات، ازدهر فن الإقناع بالكلام الفصيح وأصبح علمًا، وقد عرض الباحثون ثلاث استراتيجيات نظرية للإقناع.

وتتمثَّل فيما يأتي:

أ_ الاستراتيجية الدينامية النفسية: ويعمد الواضعون لها إلى تعيين مجموعة خطية من المفاهيم عبِّر عنها بالحاجات النفسية والمعتقدات والدوافع والمصالح، وأسباب المخاوف والقلق والآراء والقيم والمواقف، وتعدُّ هذه العناصر بواعثًا رئيسة لسلوك الأفراد، ومعيار فهم اختبارات السلوكيات لديهم وتفضيلاتهم وأولوياتهم أي أنَّها البوابة لفهم أعمق لعملية التأثير والإقناع. (١) وبناءً على ذلك يمكننا القول: إنَّ مكنون هذه الاستراتيجية هو استعمال رسالة إعلامية لها القدرة الكبيرة على تغيير الأُمور النفسية للأشخاص لكي يتفاعلوا مع هدف معين، وهذا يعني: أنَّ مدخل (الإقناع) يكمن في تعليم جديد عن طريق معلومات يعرضها المرسل لتغيير البناء النفسي للمرسل إليه ممَّا يقوده إلى السلوك المراد. (٢)

ب_ الاستراتيجية الثقافية _ الاجتماعية: وتقوم على تصوُّر مفاده أنَّ الثقافة تساهم في تشكيل السلوكيَّات الإنسانية، وأكثر من هذا تتحكَّم في الأشكال السلوكية المنبثقة عن الإنسان فهي الخلفية المعرفية والفكرية والاعتقادية للسلوك، فهي تحمل ضمنيًّا القوالب الفكرية والأشكال السلوكية التي تطبَّع عليها الشخص، ويضاف إليها عملية التعلم الاجتماعي؛ لأنَّ الإنسان

(١) ينظر: الإقناع الاجتماعي: ٥١.

(٢) ينظر: من أساليب الإقناع في القرآن الكريم: ٣٨_ ٣٩.

يكتسب الثقافة بطريقة تلقائية نتيجة تفاعله مع مجتمعه. (١)

ت _ استراتيجية إنشاء المعاني: تقوم استراتيجية إنشاء المعاني على مفاهيم مفادها أنَّ المعاني تتَّصِّل باللغة مباشرة، والتي يفصح بها الشخص عمَّا يدور بفكره ويتصرف اتجاه البيئة الخارجية بناءً على ما يدَّخِّره من معانٍ وتلك البنية الداخلية المعرفية تزوِّد الفرد بتعريفات للأحداث والأُمور التي يمرُّ بها، ومن ثم فالتعامل إزاءها منبثق من هذه البنية. (٢) إذن اللغة هي الركيزة الأساسية في استراتيجية إنشاء المعاني. ومن الجدير بالذكر في سياق هذا أنَّ استراتيجية الإقناع هي السلطة التي وظَّفها ابن جني في نصوص كتاب (سر صناعة الإعراب) بالتعويل على آليات وأساليب لغوية أو مهارات خطابية استدلالية مبنية على عرض رأي أو الاعتراض. الأمر الذي وفَّر عليه الكثير من الوقت والجهد أثناء السعي إلى الوصول إلى غرضه من تأليف الكتاب، وسترى بيان تلك المهارات والأساليب إن شاء اللهُ _ تعالى _.

المبحث الأوَّل / الأساليب الإقناعية في كتاب (سر صناعة الإعراب):

الأُسلوب في اللغة: هو الفن (٣). وقد أطلقه الفلاسفة على كيفية تعبير الفرد عن أفكاره، ولذلك قال (بوفون) عن الأُسلوب: الأُسلوب هو الإنسان ومعنى هذا أنَّ الأُسلوب هو التأليف الذي يرسم سمات الفرد وسجاياه، وقد يطلق الأُسلوب في علم الاجتماع وعلم الأخلاق على المنهج الذي ينتهجه الناس، ومنهم قولهم أُسلوب الحياة. (٤)

أمَّا الأسلوب في الاصطلاح فهو طريقة يستعملها الكاتب في الإبانة عن شخصيته الأدبية والتعبير عن رأيه؛ وذلك عن طريق انتقاء المفردات وصياغة الجمل والعبارات والإيقاع. (٥) بمعنى هو طريقة الإنشاء أو الكتابة أو طريقة اختيار المفردات وصياغة العبارات للتعبير بها عن معانٍ مقصودة من أجل الإيضاح والتأثير. (٦) لذلك يعرَّف الأُسلوب أنَّه الفن الأدبي الذي يجعله الأديب

(١) ينظر: الإقناع الاجتماعي: ٥٢.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٥٤.
(٣) ينظر: مختار الصحاح: (س ل ب): ٣٠٨.
(٤) ينظر: المعجم الفلسفي: ٢٠
(٥) ينظر: المعجم الأدبي: ٢٠
(٦) ينظر: دلائل الإعجاز: ٣٦٣

وسيلة للتأثير والإقناع. (١) وبصفة عامة الأُسلوب هو السمة التي يتَّضح ملمحها على الأديب في منهجه الذي يتَّخذه لإيصال مقاصده، وهو في غير الأدب طريقة التعبير. (٢)

هذا فيما يخصُّ الأُسلوب وإذا أردنا أن نبين شيئًا عن الإقناع قبل الولوج في استكشاف أساليب الإقناع في كتاب سر صناعة الإعراب فلا بدَّ من البدء فالمعنى المعجمي له وبناء على ذلك وجدنا في لسان العرب أنَّ (الإقناع) أُخذ من الجذر اللغوي (قنع) والذي يعني الرضى بالشيء (٣). ومن الأمثال العربية: خير الغنى القنوع، وشرُّ الفقر الخضوع(٤).

أمَّا الإقناع في الاصطلاح فهو حمل الفرد على اعتقاد شيء، (٥) وقد ذكر (القرطاجني) (ت٦٨٤هـ): أنَّ المراد بالإقناع هو حمل الأفراد على اعتقاد شيء أو فعله أو التخلي عن اعتقاده أو فعله. (٦) أي: امتلاك القدرة على جعل الآخرين يؤمنون بصواب أفكار وآراء معينة أو جعلهم يتخلُّون عنها أو يتخلون عن مواقف وأفكار كانوا يعتقدون صوابها وصحتها.

وقد ورد هذا المعنى واضحًا عند (الجاحظ) (ت٢٥٥ هـ) فيما ذكره حول منزلة الكلام البليغ ووقعه في نفوس البشر؛ إذ ذكر أنَّه إذا كان اللفظ بليغًا وكان المعنى شريفًا وكان صحيح الطبع، وكان مصونًا عن الاختلال، منزَّهًا عن التكلُّف، بعيدًا عن الاستكراه، عمل في القلب عمل المطر في التربة الكريمة (٧). فمعنى ما يصنعه ذلك الكلام البليغ في نفوس البشر هو قوة التأثير فيها وهذا سبيل الإقناع وغالبًا ما يستعمل أهل الفلسفة والكلام مفردة (التصديق) للتعبير عن (الإقناع العقلي) الذي ينشأ في النفوس فذكر (ابن رشد): أنَّ طباع الناس مختلفة وهم يتفاضلون في (التصديق) فمنهم من يصدِّق بالأقاويل الجدلية ومنهم من يصدِّق بالبرهان ومنهم من يصدِّق بالأقاويل الخطابية (٨). وفي العصر الحديث نجد هذا المصطلح يعني حمل الشخص على

(١) ينظر: الأُسلوب: دراسة تحليلية لأُصول الأساليب الأدبية: ٤
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠
(٣) ينظر: لسان العرب: ٣٢١
(٤) أساس البلاغة: ٥٢٤
(5) dictionaries analogies, p: 521. Nouveau
(٦) ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأُدباء: ٢٠
(٧) ينظر: البيان والتبيين: ٣ / ٣٧
(٨) ينظر: فصل المقال بين الحكمة والشريعة من الاتصال: ٣١

اعتقاد رأي ما للعمل به. [١]ويعني المصطلح نفسه: سوق الحجج الكافية التي يتطلبها موقف المساجلة والمجادلة. وحسب (جوديت لازار)، الإقناع يعتمد على مساعي معمولة من أجل إجراء تغيير سلوك ما عن طريق تبادلات رمزية وعلاقات. [٢]وهذا ما يظهر جليًّا عند (إبراهيم أبو عرقوب) إذ ذكر: أنَّ الإقناع هو أن تجعل إنسانًا يؤدِّي عملًا ما عن طريق المنطق و الحجة والنصح أو القوة فهو اتصال شفويّ أو مكتوب أو بصريّ أو سمعيّ يهدف بشكل معيَّن إلى التأثير على الاعتقادات والاتجاهات أو السلوك [٣].

ومن وجهة نظر (محمد عبد الرحمان عيسوي): أنَّ الإقناع يخضع للقوانين التي تحكم عملية الإدراك والمعرفة.... إنَّ الفرد يميل إلى الإقناع بالإيحاءات التي يعتقد أنَّها تصدر من الأشخاص ذوي المكانة الاجتماعية البرَّاقة. [٤]وهذا يشير إلى التفاته إلى أهمية المنزلة الاجتماعية للمخاطِب في عملية الإقناع، نهيك عمَّا يتَّسم به من قوة الإدراك والمعرفة. وأمَّا (عامر مصباح) فعرَّفه بأنَّه: عملية إيصال الآراء والأفكار والقيم والمعلومات والاتجاهات إمَّا تصريحًا أو إيحاءًا، عبر مراحل محددة في ظلال وجود شروط ذاتية وموضوعية معينة وعن طريق التواصل. [٥]وعرَّفته (ليلى مراد): بأنَّه آلية أساسية لتكوين الآراء واتخاذ المواقف. [٦]وهو من وجهة نظر (الصرايرة محمد نجيب): محاولة للتأثير في تفكير وسلوكيات الآخرين وسلوكياتهم عن طريق استعمال استمالات شخصية ونفسية ومنطقية [٧]. ومن كلِّ ما ذكر نستنتج أنَّ الإقناع يتطَّلب وجود مهارات وأساليب معينة في كلام المرسل تخدم أمر تحقيقه؛ لأنَّه يمثِّل: العملية المقصودة التي يؤثِّر بها الخطاب في آراء وسلوك الإنسان بدون قسر أو إكراه أو قسر [٨]. ومن الضروري أن نذكر أنَّ الاقتناع يبنى على فعل الإقناع الذي يتعلَّق بموقف التلفظ ويبرز في استدعاء المرسل لكلِّ أنماط الصيغ التي من شأنها أن تجعل التواصل ناجحًا نتيجة قبول المرسل إليه التفاهم التلفظي أو التعاقد المقترح. ومن

(1) Grand Larousse, encyclopedia, p: 690.

(2) Voir: judith Lazare, Sociologie de la Communication de masses, p: 166.

(٣) ينظر: الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي: ١٨٩

(٤) دراسات في علم النفس الاجتماعي: ١٦

(٥) ينظر: الإقناع الاجتماعي: ١٦

(٦) ينظر: المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

(٧) ينظر: العلاقات العامة للأُسس والمبادئ: ٩٤

(٨) ينظر: أساليب الإقناع في القرآن الكريم: ١٩

الملاحظ أنَّ الإقناع يرتكز على أخلاقيات تؤدِّي إلى الاقتناع، فتتشكَّل حقيقة أنَّ (الإقناع) هو حيز الدرس الحجاجي التفاتًا إلى كونه محدد المخاطب والمقام والسياق القولي، فتقديم وجهة النظر أو الاعتراض عليها مرماها إقناع المرسل إليه بصحة وجهة النظر المعروضة أو فساد وجهة النظر المعترض عليها. وتلك الدعامة الأُصولية تحكمها جاذبية القول إنَّ (الحجاج) هو مجموعة الآليات الاستدلالية التي تستدعي إقناع المرسل إليه بكلام ما بالبناء على ما يفترض أو يعلم أنَّ المرسل إليه يسلِّم به من كلام غيره.

ومن الواضح والجليّ لمن نظر في (سر صناعة الإعراب) أنَّ ابن جني التزم بمنهجية ثابتة في تأليفه له وحرص على جعل (الإقناع) يتَّخذ دور (الخادم) بتقديم المنفعة؛ لإيصال المادة اللغوية الرصينة بالشكل الذي كان يطمح إلى بلوغه وهو الشكل الذي ذكره في قوله الذي نفهم منه أنَّه رسم أن يضع كتابًا يتضمن جميع أحكام الحروف، وأحوالها، وكيف مواقعها في كلام العرب. وأن يتقصَّى القول في هذا، ويشبعه ويؤكِّده، وأنَّه يبلغ من هذا فوق قدر الكفاية، ويحرز فيه قصب الغاية بتوفيق الله، ويجتنب مع هذا الإطالة والإسهاب، إلا فيما أثار دفينًا أو تضمَّن نكتًا، ويتبع كل حرف من حروف المعجم ممَّا رواهُ عن حذَّاق أصحابه وجلَّتهم، وحذاهُ على مقاييسهم وأمثلتهم، ما أيقدِّر أنَّ فيه بلوغًا لأمد المرسل إليه، وإصابةً لغرضه [1]. وهذا الأمر يجعلنا أمام حقيقة مهمة وهي كونه كان يتمتع بسمات المقدرة الإقناعية المتمثلة في: قدرته على العرض والتعبير، وقدرته على التحليل والابتكار، وقدرته على تقبل الاعتراضات.

لا سيَّما إذا علمنا أنَّ الخطاب الإقناعي من الضروري أن يشتمل على شروط معينة أهمها:

١_ خلوهُ من المغالطات الوصفية.

٢_ تبنى الحجج فيه على سلمية متدرجة تعتني بسياق التخاطب.

٣_ إحالة الخطاب على مرجعية ثقافية مشتركة بين طرفي التخاطب وسائدة.

٤_ وضوح الغايات والأهداف وإمكان تحقيقها.

٥_ الجمع بين وجهة نظر ووجهة نظر مضادة.

٦_ تنويع تقديم الخطاب مع مراعاة المسافة الزمنية في التقديم.

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ١٥_١٦

٧_ تعيين معاني الكلمات المستعملة تعيينًا دقيقا لئلا يكون المتحاوران مختلفين في استعمال تلك الكلمات أو فهمها، فلا ينتج عن هذا إقناع واقتناع بل سوء تفاهم ولبس [١].

إنَّ الأساليب الإقناعية في الخطاب الإقناعي عند ابن جني متعددة لتعدد مضامينها وقد حاولتُ في هذا البحث أن أستشهد بنماذج منها ومن الاستدلالات الإقناعية الواردة في نصوصه، على أن يكون ذلك الاستشهاد على سبيل المثال لا الحصر. ومن الملاحظ أنَّ أغلبها يندرج تحت نوعين رئيسين من الأساليب يتمثَّلان بالآتي:

المبحث الثاني / أساليب الإقناع العاطفية:

وتستهدف هذه المهارات الأُسلوبية التأثير على انفعالات المتلقين ومشاعرهم ومخاطبة حواسَّهم وإثارة حاجاتهم النفسية بما يحقِّق أغراض المرسل وأهدافه وقد وقف ابن جني عند أنواعها رصد هذا ورد في:

أ / الأساليب اللغوية:

١ _ الاستفهام [٢]: وحقيقته أنَّ السّائل يريد به من المجيب أمرًا لم يستقر عندهُ [٣]. إلا أنَّه في أحيان كثيرة يخرج إلى دلالات وأغراض أُخرى يريها المتكلم ويقتضيها الموقف الذي قيل فيه، وقد سخَّر ابن جني الاستفهام آلية لبلوغ القصد، فهذا الأُسلوب بمثابة تصوُّر في ذهن القائم بالاتصال لما يحلُّ في ذهن المرسل إليهم من تساؤلات؛ إذ بنى ابن جني حججه على تساؤلات يفترضها وهذا الافتراض متعلق في حسبانه بتعليقات المتلقين، فيعزو ابن جني إلى هذا الأُسلوب حدوث التوجيه بكون (السؤال) فعلا توجيهيًا يشتمل على الحرص على النظر في وجهات النظر حول المسألة اللغوية إلا أنَّ الإجابة من المخاطَب ليست منتظرة عنده فتوظيفه له إنَّما هو حرص على ذكر الحجج التي من المتصوَّر أن يعارضه بها المتلقين حتى لو كان تخيل هؤلاء المتلقين ضمن حوارات مفترضة معه، فيسمح ابن جني له بالتدخل في التشكيل؛ لأنَّه العنصر المخصوص بالإقناع، وقد شحن ابن جني نصوصه بكيانات استفهامية؛ ليوجِّه متلقيه

(١) ينظر: آليات الإقناع في الخطاب القرآني في سورة الشعراء: ٢٨_ ٢٩.

(٢) عُدَّت (الأسئلة) من أكثر الأدوات فاعلية في العملية الإقناعية، ينظر: فن الإقناع (هاري ميلز): ٢١١، وينظر: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني: ١٧

(٣) ينظر: الكتاب: ١ / ٩٩.

نحو محتوى معين ومن ذلك ما ورد في قوله الذي نفهم منه أنَّ اختلاف أجراس الحروف ناتج عن اختلاف مقاطعها، موضِّحًا ذلك عن طريق توجيه السؤال الآتي: ألا ترى أنَّك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك، ثم تبلغ أي المقاطع شئتَ به، فتجد جرسًا ما لهُ، فإن انتقلتَ عنه متجاوزًا له، أو راجعًا منه، ثم قطعت، أحسستَ صدى غير الأول عند ذلك،... ألا تراكَ تقول في الدال واللام والطاء: اِدْ. اِلْ. اِطْ ولا تجد منفذًا هناكَ للصوت، ثم تقول: اِصْ. اِسْ..... فتجد الصوت يتبع الحرف [١]. حيث وظَّف الهمزة في قوله (ألا ترى)، و (ألا تراكَ) لتوجيه المخاطبين إلى قناعة معيَّنة وهي اختلاف أجراس الحروف نتيجة اختلاف المقاطع. أي أنَّ الأداة خرجت عن معناها الاستفهامي الأصلي إلى معنى مجازي أراده صاحب النص.

ووظَّف ابن جني الأداة (ما) في سياق الحوار الافتراضي الذي عرضه ليوجِّه الأذهان إلى أنَّ الظرف (بين) أُضيف إلى لفظ محذوف أُقيمت الجملة مقامه؛ وذلك في قوله: فإن قيل: فإلامَ أضاف الظرف الذي هو بين، وقد علمنا أنَّ هذا الظرف لا يضاف من الأسماء إلا إلى ما يدلُّ على أكثر من الواحد، أو ما عطف عليه غيره بالواو دون سائر حروف العطف،... فالجواب: أنَّ هاهنا واسطة محذوفًا، وتقدير الكلام: «بين أوقات نحن نرقبه أتانا»،... [٢]. ووظَّف كلّ من (الهمزة، وكيف، وهل، ومن) في سياق حوار آخر؛ إذ افترض قولهم: أولستَ تعلم أنَّ الجمع فرع على الواحد، وأنَّ الواحد أقدم في الرتبة من الجمع، فكيف جاز للأصل وهو (عظاءة) أن يبنى على الفرع وهو (عظاء)؟ وهل ذلك إلا كما عابه أصحابه على الفراء، من قوله إنَّ الفعل الماضي بني على الفتح؛ لأنَّه حمل على (ألف التثنية)، فقيل ضرب، لقولهم ضربا، فمن أين جاز للفراهيدي أن يحمل الواحد على الجمع، ولم يجز للفراء (رحمهما الله) أن يحمل الواحد على التثنية ؟... [٣]. ونراه يذكر في نصوص أُخرى العبارات الآتية (فما بالك اعتبرتَ... [٤]، وما الدليل على أنَّ الأصل... [٥]، و لمَ زعمت أنَّهم... [٦]، وألستَ تزعم أنَّ...) [٧]، المرافقات لجملة فإن

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ١٩_ ٢٠.
(٢) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٣٩.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ١٠٨.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ١٠٩
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ١١١
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ١١٣
(٧) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ١١٥و١١٧.

قيل. والتي خرجت فيها أدوات الاستفهام عن معناها الأصلي إلى معانٍ مجازية.

٢ _ الأمر: يستوعب الإنتاج التعبيري الإقناعي لهذه الممارسة الطلبية صياغات متنوعة، ومن هذا المنطلق نحتكم إلى بنية (افعل) بتوظيف ابن جني لها في توجهه الإقناعي في فعل الأمر (اعلم) المميز بكثرة وروده. (١)فضلًا عن استدعاء الفعلين (افهم)، و (اعرف).

وقد حصرت في الطَّرح اللغوي في مسارين رئيسين هما:

١_ الأُسلوب المباشر: كونها صيغة مباشرة من المرسل إلى المرسل إليه على صيغة الأمر بتوفر الاستعلاء وباشتراط حضور المأمور عينًا.

٢_ الأُسلوب غير المباشر: ويعيِّن جوهرها الدلالي في حيز دراستنا أنَّها صيغة توجيهية تعليمية توجّه إلى نفس واعية بما تعرضه للمتعلم وبغياب معنى الاستعلاء فيها وتداعي حضور الآخر حقيقة وتعدُّ صيغة (افعلْ) من (الأوائل الدلالية) والمقصود بهذا المصطلح دراسة المفردات التي تستعمل كثيرًا في بداية النصوص وتبنى فكرة عمل مصطلح الأوائل الدلالية على أنَّ لكلِّ خطاب مفردات منتقاة تعدّ منطلقه المفضل في ممارسته الخاصة اللسانية، و هذا النمط من الدراسة ينأى عن فكرة اعتباطية تلك الأوائل، ويقترح وجود نظام فكري يتولَّى اختيارها ويجعل منها وسيلة صريحة للتعبير عن حضوره ووعيه. (٢)

إلا أنَّ ابن جني لا يخضع هذه الصيغة لرتبة الابتداء بها في أبوابه ونصوصه بل يضمِّنها أيضًا في ثنايا طروحاته ما يوحي إلى أنَّها أداة لشد الانتباه ولجذب المتلقين. وهذا يشير إلى أنَّ مسألة اختيارها لم تكن اعتباطية وكذلك مسألة تموضعها حيث تسهم في تفسير النصوص بقالبها الثاني القالب التعليمي التوجيهي _ في كلا الموضعين _. ويمكننا ملاحظة هذه المعطيات الدلالية والتداولية لتلك الصيغة في قول ابن جني: الذي نفهم منه أنَّ مادة (ع ج م) وقعت في كلام العرب للإخفاء والإبهام، وضد الإفصاح والبيان (٣). وقوله الذي نفهم منه أنَّ الحروف التسعة والعشرين

(١) ورد الفعل (اعلم) في بداية الأبواب الآتية: (باب أسماء الحروف...): ١ / ٥٥، و (باب الهمزة): ١ / ٨٣. فضلًا عن بداية موضوع زيادة الهمزة: ١ / ١٢١، و (باب الطاء): ١ / ٢٢٩، و (باب الميم): ٢ / ٨٩، و (باب الواو): ٢ / ٢٢٣، و (باب حرف الياء): ٢ / ٣٦١. ونجده في بداية فصل (في تصريف حروف المعجم و...): ٢ / ٤٠٥، وبداية فصل (مذهب العرب في مزج الحروف...): ٢ / ٤٢٧، هذا مع وروده في ثنايا طروحاته بشكل لافت للانتباه في كل باب وفصل.

(٢) ينظر: الذات الناقدة في النقد العربي القديم: ٢٣_ ٢٤، وينظر: تكوين الخطاب: ١٣٥.

(٣) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٤٨

قد تتفرَّع عنها ستة أحرف حسنة تتبعها، يؤخذ بها في كلام الله وفصيح الكلام، وقد تتبعها بعد هذا ثمانية أحرف غير مستحسنة، وهي فروع ولا يؤخذ بها في كلام الله ولا في شعر العرب، ولا تكاد تذكر إلا في لغة مرذولة ضعيفة، غير متقبلة (١). وقد وجَّه قارئ الكتاب بوساطة هذه الصيغة إلى معنى الصوت؛ إذ ذكر: أنَّ الصوت هو عرضٌ يصدر مع النفس متصلًا مستطيلًا، حتى يعرض له في مخرج الحلق ومخرج الفم ومخرج الشفتين مقاطع تثنيه عن استطالته وامتداده، فيطلق على المقطع أينما عرض له تسمية (الحرف) (٢). وممَّا تكشفه نصوصه أنَّه استعمل عبارات قد تكون لاحقة بهذا الفعل يلاطف بها المتلقين منها (ويدلُّك على) (٣)، ووظَّف الفعل (افهم) في قوله الذي نفهم منه أنَّ الكسرة في نحو: طِوَل وعِوَض، لو قلبت لها الواو المفتوحة؛ لانفتاحها ولاستثقال حركتها، لوجب أن نقول: حيَل و عِيَض، ولا تؤول إلى حرف تأمن الحركة فيه، وليس كذلك الألف في الفعل قام؛ لأنَّ التحوُّل في الواو أدَّى إلى حرف تؤمن حركته. والياء في (عيبة) كالواو في (عِوَض)؛ فلذلك لم تقلبا (٤). فمن الملاحظ أنَّه قد غذَّا السبق للفعل بالتعليل (لأنَّك قد صرتَ...). في حين وظَّف الفعل (اعرف) في قوله: فصار قولنا (حروف المعجم)، من نمط إضافة (المفعول) إلى (المصدر)، بمعنى من شأنها أن تعجم (٥). وتكشف بعض النصوص أنَّه كان يبرر للمتلقين ما أورده عندما يذكر الفعل (اعرف) نحو قوله بعد ذكره: ...، فاعرفه، فقلَّما أفصح أصحابنا هذا الإفصاح عنه (٦)، وقوله الآخر الذي ذكر فيه أنَّ أصحابه لم يشبعوا الكلام فيه، على ما أورده هو وإن كان بحمد الله بهم يقتدي، وعلى آثارهم يهتدي (٧). الأمر الذي يشير إلى أنَّ المسلك الأدائي الذي سلكه ابن جني عند إيراد صيغة (افعل) ههنا مسلك عرض ليحدث به تأثيرًا في المتلقين ولم يكن مسلك وجوب ما يقودنا إلى حقيقة عنده تستكنه من مدونته أنَّ المقاصد هي أساس التفريق بين (معنى تعبيري) و (نتيجة) يقصد القائم بالاتصال نقلها. وأنَّ أُسلوبه التأدبي جعله يوجه تلك الأفعال إلى مقاصد توجيهية تعليمية بوصفها مكونات حجاجية.

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٥٩
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ١٩.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢ / ٤٠٥
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٣٨
(٥) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٤٨
(٦) المصدر نفسه: ١ / ١٠٣.
(٧) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ١١٧_ ١١٨.

٣ _ التَّوكيد: لفظ التوكيد مأخوذ من قولهم: وكَّد وأكَّد العهد إذا أوثقه. (١) ويراد به في الاصطلاح: تمكين أمر ما في النفوس وتقويته، وفائدته إماطة الشبهات عنهُ و إزالة الشكوك، وهو أُسلوب دقيق المأخذ. (٢) وتظهر في نصوص ابن جني عبارات تشير إلى حضور معنى التوكيد في ذهنه وذلك نحو عبارة (ويؤكِّد عندكَ أيضًا أنَّ...). (٣) وعبارة (ويؤكِّد هذا القول). (٤) ويستعمل في أُسلوب التوكيد: حروف وأدوات معيَّنة ومنها (أنَّ) و (إنَّما) الواردان بكثرة في نصوص ابن جني ومنها نصه الذي ذكر فيه أنَّ الواو التي بمعنى (مع) سالكة مسلك حرف العطف، وأنَّها لا تكون إلا في المواضع التي لو عطف فيها بها لصلح هذا، ويؤكِّد ذلك امتناع النحويين والعرب من إجازتهم: (انتظرتك وطلوع الشمس). بمعنى مع طلوع الشمس والعلة من وجهة نظرهم أنَّك لو رمتَ أن تجعلها عاطفة هنا لم يجز لكون طلوع الشمس لا يتصور عنه انتظار أحد (٥). ومنها الحرفان (إنَّ) و (قد) الواردان في قول ابن جني الذي نفهم منه أنَّه سمِّي بهذا؛ لأنَّ الله _ تعالى _ خلق الأرض و السموات في ستة أيام أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، فكانت السبت منسبتة، أي: تمَّت وانقطع السعي للعمل فيها. وهناك رأي آخر بأنَّه: سمِّي بهذا؛ لأنَّ اليهود انقطعوا فيه عن تصرفهم. (٦) ويستعمل للتوكيد المعنوي اللفظ (كل) وقد وجدنا ذلك في قوله الذي نفهم منه أنَّ همزة (أل) مع اللام بمنزلة هل وقد ونحوها، وأنَّها ليست بهمزة وصل (٧).

٤ _ التكرار: عندما يكون هناك انسجام بين نشاط الفكر ونشاط الصياغة فإنَّ الحصيلة تكون قوية الأثر في هذه الصياغة. تظهر هذه الحقيقة من توظيف ابن جني فعل التكرار بسمته آلية فنية قصد من إيرادها إقناع المتلقين بالهيئة العامة للشكل الذي يريد. وقد منح عن طريقه القضايا تعالقًا. وأظهر ميزته الاستراتيجية أنَّه يؤدِّي وظيفة الربط على صعيد البنية النصية، فابتعد به عن صفة أن يكون مجرد إعادة عبارات و مفردات ليكون أساسًا بنائيا لصرح التماسك في نصوصه

(١) ينظر: لسان العرب مادة (وكد): ١٥ / ٣٨٢.
(٢) ينظر: أساليب الإقناع في القرآن الكريم: دراسة تطبيقية لسورة الفرقان (رسالة ماجستير) كلية الآداب _ جامعة الأردن، ١٩٩٠م: ١٣٦.
(٣) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ١٣٨. وذكر: (يؤكِّد ذلك عندكَ أيضًا) في: ١ / ٣٨
(٤) ينظر المصدر نفسه: ٢ / ١٧
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ١٣٨.
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٢ / ٤٣
(٧) ينظر: سر صناعة الإعراب: ٢ / ١٨

تؤدِّي إلى الإقناع عن طريق الصياغة التي تهدف إلى جذب المتلقين بتثبيت الحجج. وهذا ما نفهمه من كتاب الجرجاني؛ إذ ذكر أنَّ المراد بالتكرار هو الإثبات بشيء مرة بعد مرة (١). فلا تفترق فائدته عن الإفهام. (٢) لمن لم يفهم المراد أو تطور في استمرار الفهم لمن فهم.

وبموجب هذا ينهض هذا الأُسلوب في سياق الحجاج على أنَّه رافد غنيٌّ: يرفد البراهين والحجج التي يقدِّمها المرسل لفائدة أُطروحة معيّنة بمعنى أنَّه يوفِّر حافزًا يحدث أثرًا في المتلقين وتساهم على نحو ناجح في إقناعهم أو حملهم على التسليم (٣). وفي (سر صناعة الإعراب) حظي التكرار بأهمية جعل المتلقين يمعنون الفكر ويدقِّقون الملاحظة بإيجاد صلات بين مكونات النصوص فيستمر به نشاط حياة النصوص المحفِّز انتباه المتلقين.

وبعيدًا عن الإسقاطات التعسفية في محاكمة النصوص فثمة تشابه بين توجهات ابن جني والتفسيرات الحديثة للنسيان في علم النفس إذ عكس ابن جني بهذا الأُسلوب جانبًا من الحال الانفعالي والنفسي عندما يستحضر ما ذكر ويعيد نشاطه بتجديد ذكره بعد أن كاد المتلقي ينساه، وقبول هذا الطرح ينطلق من مراعاة حقيقة التكرار التي نجدها في قول الزركشي الذي يدلُّ على أنَّ التكرار: إعادة لفظ ما أو مرادفه بغرض تقرير معنى مخافة تناسي الأول (٤). فهو يعين على مضاعفة وقت الخطاب بما يعطي للمتلقي فرصة أوسع في متابعة الرسالة واستيعابها. (٥)وممَّا يشهد على غزارة استعمال هذا الأُسلوب في نصوص ابن جني تكرار كلمة (الصويت) في قوله الذي بيَّن فيه أنَّ هذا الصويت التابع لتلك الحروف ونحوها يعرض ما وقفت عليها؛ لأنَّك لا تريد الأخذ في حرف آخر، فيتمكَّن الصويت فيسمع وإنَّما كان هذا كذلك من جهة أنَّ تأهبّك لحرف آخر وأخذك فيه، قد حالا بينك وبين الاستراحة والتلبث التي يحدث معها هذا الصويت (٦) وتكرار كلمة (الصوت) في قوله الذي بيَّن فيه حقيقة مفادها: إن° اتَّسع مخرج (الحرف) حتى لا يتوقف الصوت عن استطالته وامتداده، استمرَّ (الصوت) مستطيلًا حتى ينفد،.... إلا أنَّ الصوت الذي يسري في الألف مخالف للصوت الذي يسري في الواو و الياء،

(١) ينظر: التعريفات: ١١٣.
(٢) ينظر: البيان والتبيين: ١ / ١٠٥.
(٣) ينظر: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني بنيته وأساليبه: ١٦٨.
(٤) ينظر: البرهان: ٣ / ١٠
(٥) ينظر: التشابه والاختلاف: ١٣٠، وينظر: مدخل إلى علم لغة النص: ٧٢.
(٦) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٢٠

والصوت الذي يسري في الياء مخالفٌ للذي يسري في الواو والألف والواو. [١] وتكرار كلمة (صيت) وكلمة (الذكر) في قوله الذي بيَّن فيه أنَّ قولهم لفلانٍ صيت إذا شاع ذكره في الناس، فمن ذلك اللفظ، و أنَّ الياء أصلها واو انقلبت ياءًا؛ لانكسار الحرف السابق ولسكونها. كما قالوا: (ريح من الروح)، ونحوه، وكأنَّهم صاغوه على فعل، للفرق بين الذكر المتعالم وبين الصوت المسموع، على أنَّهم قالوا أيضًا: انتشر صوته في الناس، يقصدون به الصيت الذي هو الذكر، وهو في ذلك المعنى أكثر وأعمّ استعمالًا من الصوت، وذكر أنَّ الصيت يستعمل في الجميل من الذكر، ولا يستعمل في القبيح منه [٢].

وكرر عبارة (الحركات أبعاض حروف المد) في نصٍّ نفهم منه أنَّ الكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، والفتحة بعض الألف، وأنّ متقدمي النحويين يسمُّون الكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، والفتحة الألف الصغيرة، وبيَّن لنا فيه أنَّ ممَّا يدّلنا على تلك المعلومة أنَّك متى أشبعتَ حركة من الحركات الثلاث تكوَّن الحرف الذي هي بعضه بعدها، وهذا نحو: كسرة عين عِنب فمن أشبعها نطق بالياء، فقال عينب، وكذلك ضمة عين عُمر فمن أشبعها نطق بواو ساكنة فقال: عومر، وكذلك فتحة عين عَمر، فمن أشبعها نطق بالألف، فقال عامر، فلولا أنَّ الحركات أوائل لهذه الحروف و أبعاض لها، لما كانت تابعة لها ولا تنشأت عنها [٣] ونجده كرر في هذا النص كلمات مهمة نحو (بعض)، و (الصغيرة)، و (أشبعتها). ويبيِّن لنا في سياق ذلك أنَّ ما يزيد هذا وضوحًا للمتلقي أنَّ كلّ حروف المعجم غير الأحرف الثلاثة لك أن تجيء بأيّ حرف منها، بعد أي الحركات شئت، ولا تشعر مع هذا استكراهًا في اللفظ ولا تجد نبوًّا فيه، ، متحركة كنَّ الحروف أو سواكن. ومن رامَ أن يأتي بضمة أو كسرة قبل الألف لم يستطع هذا البتة، وكذلك لو تكلف الكسرة قبل الواو المفردة الساكنة، أو الضمة قبل الياء المفردة الساكنة، لتجشم فيه مشقة، وكلفة لا يجدها مع الحروف الصحاح. [٤] وذكر معنى ذلك في موضع آخر ذكر فيه: أنَّ الحروف الثلاثة نشأت عن إشباع الحركات بعد حروف متحركة بها، فكذلك الحركات التي هي

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٢١
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٢٥
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٣٣_ ٣٤
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٣٤.

أوائل لها و أبعاضها وأجزاء منها. (١) وذكر في موضع غيره أنَّ هذه الأحرف متنشئة عن الحركات وتوابع لها، وأنَّ الحركات أجزاء منها، و أوائل لها، وأنَّ الألف فتحة مشبعة، والواو ضمة مشبعة، والياء كسرة مشبعة، وأكَّد ذلك بقوله أنَّ المتكلم العربي ربَّما احتاج في إقامة وزن البيت إلى حرف مجتلب ليس من لفظه، فتشبع الفتحة، فيتكَّوَّن الألف، وتشبع الضمة فتتكَّوَّن الواو، وتشبع الكسرة فتتكَّوَّن الياء. (٢) ففي هذا النص وما قبله ذكر كلمة (أوائل). فضلًا عن تكراره لكلمات تحمل دلالات متقاربة فيه نحو: (نشأت و متنشئة)، و (تشبع ومشبعة)، وكرر كلمة (تتولَّد) أيضًا.

وذكر معنى تلك العبارة في سياق إيراد سبب تسمية (الحركات) بهذا الاسم وذلك في قوله الذي نفهم منه أنَّ سبب تسمية الأصوات الناقصة بالحركات أنَّها تقلق الحرف الذي تكون بعده، وتجتذبه باتجاه الحروف الثلاثة التي هي أبعاضها. (٣)

نستنتج من ذلك أنَّ ابن جني عمل على إقناع المتلقين عن طريق هذا الأُسلوب في ظلال إثبات الكفاءة التواصلية؛ لأنَّ التكرار قد يضر على مستوى نجاح الخطاب إذا لم يستعمله صاحبه بنسبة وطريقة مدروسة تنأى به عن الوصول إلى الغاية المنشودة.

ب / التمثيل التشبيهي: تشكِّل المقدرة التشبيهية وجهة واضحة مهمة لحدوث الإقناع، فتمدُّ المتلقين بما هو مفيد وإن كانوا على علمٍ بفحواها، وهذا ما التفت إليه ابن جني عندما نفث في أثناء معالجة اللغة روحًا لها قيمتها حيث ربط التمثيل التشبيهي بالمعاني. وليس هذا ببعيد عن عالم توفَّرت في منهجيته مكنونات اللغة وهو يعالج مفردات فيها. وتظهر قيمة هذا بما تعطيه هذه الاستمالة من تقريب للمعاني وتلطيفها إلى النفس البشرية لتلقى استجابة عند المتلقين بمنأى عن السرد. وبما تتجلَّى أهميته في الإقناع كونه مسلكًا استدلاليًا وظَّفه ابن جني من أجل بناء خطاب موجَّه نحو تحقيق غايات معيَّنة. وفي سياق تفاعل مع المتلقين بفضل ما يساهم به من معرفة يسمح تخطي المعنى الأصلي فيها باستمراية الفهم بمعونة التأويل. وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ هذا التوجه ينطلق من مراعاة أنَّ التمثيل التشبيهي: هو عملية ذهنيَّة تبنى على تشبيه شيء بشيء في العلة التي كانت سببًا في وجود ظاهرة من ظواهره وعدّ ذلك الشبه كافيًا لقياس شيء على شيء

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٤٥.
(٢) ا ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٣٨.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٤٢.

آخر في أنَّ مثل ظاهرته له. (١)

إنَّ عملية النطق ينتج عنها سلسلة من المفردات قد لا تنسجم مع متطلبات العقل وهنا تظهر وظيفة التأويل حتى توفِّر مقتضيات التعليل العقلي (٢) التي تسوِّغ ارتباط المعنى بالذهن والفكر. إنَّ خطاب الاستعارة متَّصل ههنا بالبنيات الذهنية عند (المرسل والمرسل إليه) فتقرّ حقيقة أنَّ هذا النوع من التمثيل له دور في استيعاب لغة الخطاب بما يساعد في تكوين صورته المعرفية فهو آلية إدراكية نادرة في البحث عن الروابط الممكنة والعلاقات الكائنة بين الواقع واللغة. (٣) ومن يبحث في الموروث العربي عن الغاية والغرض من الاستدلالات بالتمثيل يجد قول الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) الذي نفهم منه أنَّ أُنس النفوس يعود إلى أن تأتيها بصريح بعد مكني، و تخرجها من خفيّ إلى جليّ، وأن تردها في الأمر تعلِّمها إيَّاه إلى أمر آخر هي بثقتها به في المعرفة أحكم وبشأنه أعلم. نحو أن تحوِّلها من العقل إلى الإحساس وعمَّا يعلم بالذهن إلى ما يعلم بالطبع والاضطرار؛ لأنَّ العلم المركوز فيها من ناحية الطبع وعلى حد الضرورة والمستفاد من طرق الحواس يفضل المستفاد من ناحية الفكر والنظر في القوة والاستحكام. (٤) ولا تستغني عملية إثبات وجود هذه المهارة اللغوية في كتاب ابن جني عن الإتيان بنماذج على هذا منها التشبيه الذي ذكره ابن جني في سياق حديثه عن اختلاف الأجراس في الحروف باختلاف مقاطعها، التي هي أسباب تنوّع أصدائها؛ إذ شبّه بعضهم الفم والحلق (بالناي)، إذ يخرج الصوت فيه ممتدًا أملس، كما يسري الصوت في الألف بغير صنعة، فإذا جعل الزامر أنامله على خروق ذلك الناي المنسوقة، وراوح بينها، اختلفت الأصوات، فكذلك إذا أوقف الصوت في الفم و الحلق باتِّكاء على جهات مختلفة، كان أساس استماعنا تلك الأصوات المختلفة. (٥) ثم ذكر أنَّ نظير هذا أيضًا (وتر العود) فمن ضربه وهو مرسل. سمع له صوتًا، فإن حصر الضارب آخر الوتر ببعض أصابع يده اليسرى، أدَّى صوتًا آخر، فإن أدنى أصابعه قليلًا، سمع غير الاثنين، ثم كذلك تشكَّلت له أصداء مختلفة كلَّما أدنى اصبعه من بداية الوتر، فالوتر كالحلق، والخفقة بالمضراب عليه كبداية الصوت من

(١) ينظر: ضوابط المعرفة وأُصول الاستدلال والمناظرة: ٢٨٨
(٢) ينظر: سبع قراءات في كتاب سيبويه: ٤٥_ ٦١
(٣) ينظر: المعرفة والتواصل عن آليات النسق الاستعاري: ١٤.
(٤) ينظر: أسرار البلاغة: ٨٨.
(٥) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٢١_ ٢٢

أقصى الحلق، وسريان الصوت فيه غير محصور كسريان الصوت في (الألف الساكنة)، وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعرض للصوت في الألف الساكنة، وما ينتابه من الحصر والضغط بالأصابع كالذي ينتاب الصوت في مخارج حروف المعجم من المقاطع، وتفاوت الأصوات هناك كتفاوتها هنا. (١) وقد وضَّح ابن جني أنَّ ما أراده بهذا التمثيل هو التقريب و الإصابة، وإن لم يكن ذلك الفن ممَّا له ولا لكتابه (سر صناعة الإعراب) به تعلُّق، ولكن علم الحروف و الأصوات له تعلق بالموسيقى ومشاركة له، لما فيه من صنعة النغم والأصوات (٢). فذكر أنَّ تعلُّق علم الأصوات والحروف ومشاركته للموسيقى كانا المحفز لهذا التمثيل. وقد ذكر بعد ذلك أنَّه ثبت بما قدَّمه معرفة (الصوت) من (الحرف)، وكشفه عنهما بما هو محقق للإقناع في بابهما، وبما هو موضِّح حقيقتهما لمتأملهما. (٣) ففي هذا النص صرَّح ابن جني بأنَّ مهمة الكشف عن الصوت والحرف أدَّاها باتقان مستثمرًا طول باعه في توظيف آلية التمثيل التشبيهي الأمر الذي جعله لا يشك في اجتياز مستوى الإقناع في بابهما. ونجد هذا النمط من أساليب الإقناع في قوله الذي نفهم منه أنَّ الحروف سمِّيَّت حروفًا؛ لأنَّها جهات ونواحِ الكلم، كحروف الأشياء وجهاتها المحدقة بها. من ذلك سمَّى العرب أدوات المعاني حروفًا، نحو: قد، ومن، وفي، وبل، وهل، وذلك لأنَّها تجيء ـفي غالب الأمر ـ في أوائل الكلام وأواخره، فكانت كالحدود والحروف له. (٤) ونجد هذا الأسلوب في قوله الذي افترض فيه قول من قال: ما تنكر أن تحدث الحركة مع الحرف المتحرك البتة، ثم تجيء بقية حرف اللين التي هي متممة للحركة حرفًا مستأنفة بعد (الحركة) التي حدثت مع الحرف البتة، كما نرى بيننا من الأشياء ما يرافقه بعض لغيره، ثم يجيء تمام هذا البعض فيما بعد، فلا يلزم من ذلك أن يكون هذا البعض الذي لوحظ أولًا مرافقًا لغيره، في حكم التتمة التي أتت من بعده، بل يكون الجزء الأول مرافقًا لما وجد معه، والجزء الثاني واردًا من بعده، ونظير ذلك: شخصٌ له عشرون غلامًا، فقدم ومعه عشرة منهم، ثم أوفى بمن وافى في حصيلته من غلمانه بقيتهم بعد استقراره، فليس تأخر من تأخر من

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٢٢
(٢) ينظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(٤) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٢٩.

الغلمان بملزم تأخر من تقدم منهم. [١] وقد صرَّح بأنَّ ذلك تمثيل في تتمة النص قائلًا وذكر أنَّ ما أنكرتَ مع ما مثَّل أن تكون الحركة ناشئة مع الحرف، وتكون المدّة التي تنشأ لإشباع الحركة متكوِّنة فيما بعد.فالجواب أنَّ ذلك التمثيل إنَّما يحكم بصحته فيما أمكن تجزؤه و تقطعه. [٢]

ت / الإقناع بالفرد ومكانته العلمية:

للصدق قيمة ينبني بها الدَّليل وإنَّ براعة ابن جني وجَّهته إلى استثمار (الصدق) من أجل إدامة المسار الإقناعي في كتابه، والصدق هو حصيلة (الثقة [٣]والمعرفة). فلكي يقنع ابن جني الآخرين بما يريد إيصاله ينبغي أن يصدَّق حديثه، ولذلك عالج اللغة عن طريق النظر إلى واقعها ولاذ بسلطة الأشخاص العلمية وبسلطته لتكون في حيز الإقناع مستندًا إليهما لضمان الصدق [٤] كي يحظى الخطاب بقبول المتلقين واقتناعهم؛ لأنَّ مصدر الإثبات يتمتَّع باحترامٍ علميٍّ يدعم به ابن جني أقواله. ومن النصوص التي نجد فيها أثرًا لصدق الشخص ولسلطته العلمية في الإقناع، نصه الذي نفهم منه أنَّه يتبع قوله، على معنى (حروف المعجم)، وعددها، وأصنافها، وأجناسها، ثم يستأنف بعد هذا القول على حرف حرف منها، بناءً على ما شرط على نفسه، وجعله في ضمان كتابه بإذن الله تعالى وقدرته. [٥] فهو يصرِّح بأنَّه ألزم نفسه بتطبيق ما اشترطه على نفسه وجعله ضمان كتابه. ومن ينظر في كتابه يجده يصرِّح بأنَّ الدلالة قامت بناء على صحة النظر وذلك في قوله الذي أورد فيه قول النحويين إنَّ الحركة تستوطن الحرف مجاز، لا حقيقة تحته، وذلك أنَّ الحركة عرض والحرف عرض أيضًا. وقد نشأت الدلالة من طريق صحة النظر على حقيقة مفادها أنَّ الأعراض لا تستوطن الأعراض، ولكنَّه لمَّا كان الحرف قد يحدث ولا

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٤٥

(٢) ينظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(٣) موثوقية أو الثقة مصطلح يدلُّ على براءة المشتغل بالدراسة اللغوية من الخلط أو الوضع أو الكذب في النقل أو ما شابه ممَّا يقع في حيز الريبة والشك. وعادة لا يطلقه العلماء إلا عن تقصٍّ و تحرّ لسيرة المشتغل بالبحث من الجانب العلمي بالمرتبة الأولى لهذا لا يؤخذ على محمل الشك... أمَّا الاتفاق على توثيق فرد ما فهو دليل يمكن البناء عليه والاطمئنان إليه. ينظر: التفكير العلمي في النحو العربي: ٨٢.

(٤) نجد أنَّ قاعدة الصدق تقتضي أن يراعى الصدق في المستويات الآتية: الصدق في الخبر: وهو أن يحفظ المرسل لسانه عن إخبار المرسل إليه بأُمور على غير ما هي عليه، والصدق في العمل: وهو أن يصون المرسل سلوكه عن إشعار المرسل إليه بسمات هي على خلاف ما يتَّسم به. و مطابقة القول للعمل: هو أن يصون لسانه وسلوكه عن إشعار المرسل إليه بوجود اختلاف بينهما. وذلك من وجهة نظر المختصين بالحجاج، ينظر: اللسان والميزان: ٢٥١.

(٥) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٤٦

حركة معه، وكانت الحركة لا تحدث إلا عند حدوث الحرف، وكان الحرف (أقوى) من الحركة، صار الحرف كأنَّه تضمَّنها، وصارت كأنَّها حلَّته، تجوزًا لا حقيقة. (١) ويجده يعتدُّ بنفسه ولم يتنازل عن دوره الرائد في إعداد هذه المدونة وذلك في أقواله: والقول عندي في ذلك... ، (٢) و والقول فيه عندي ، (٣) و وهذا عندي فيه بعد ، (٤) وذكر في إطار ذلك أنَّ الصواب في هذا عنده ما ذهب إليه محمد بن يزيد أبو العباس المبرد [ت ٢٨٥هـ] (تغمَّده الله تعالى برحمته)، من أنَّ المعجم مصدر، بمكانة الإعجام، كما تقول: أخرجته مخرجًا، ونحوه، أي: إخراجًا. وحكى سعيد بن مسعدة أبو الحسن الأخفش [ت ٢١٥ هـ]، أنَّ هناك من قرأ: {وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ} (٥) بفتح حرف الراء، أي: من إكرام، فكأنَّهم ذكروا: هذه حروف الإعجام. فذلك أصوب وأسدَّ من أن يذهب إلى أنَّ منزلة قولهم حروف المعجم بمنزلة قولهم: صلاة الأُولى، ونحوه؛ لأنَّ معنى هذا صلاة الفريضة الأُولى أو الساعة الأُولى، فالأُولى غير الصلاة في المعنى، وليس كذلك (حروف المعجم)؛ لأنَّه ليس معناه حروف اللفظ المعجم، ولا حروف الكلام المعجم، وإنَّما المعنى أنَّ الحروف نفسها معجمة، فهو من قبيل إضافة المفعول إلى المصدر، كقول العرب: هذه مطيَّة ركوب، بمعنى من شأنَّها أن تركب، وكذلك حروف المعجم بمعنى من شأنها أن تعجم (٦). وقد رأى أنَّ ترتيب الحروف في معجم العين ينتابه خطل واضطراب وأنَّ ترتيبها في كتاب سيبويه هو الصواب، وهذا يشهد له بالموضوعية؛ إذ أوعز رأيه هذا إلى أنَّ التأمل يشهد بصحته. (٧) ويظهر اعتداده بقول سيبويه والتسليم بصحة قوله في قوله الذي نفهم منه أنَّ مخارج حروف المعجم ستة عشر: ثلاثة منها في مخرج الحلق. فأولها من (أسفله وأقصاه)، مخرج الهمزة، وحرف الألف، وحرف الهاء. هكذا قال سيبويه. ثمَّ ذكر أنَّ أبا الحسن زعم أنَّ ترتيبها: الهمزة، وأنَّ الهاء مع الألف، لا بعدها و لا قبلها، وما يدلُّ على فساد هذا وصحة ما ذهب إليه أبو بشر، أنَّك متى حرَّكت حرف الألف، استندت بها على أقربها منها إلى أسفل، فجعلتها همزة،

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٤٦
(٢) المصدر نفسه: ١ / ١٠٣
(٣) المصدر نفسه: ١ / ١٠٥
(٤) المصدر نفسه: ١ / ١٢٣
(٥) سورة الحج: ١٨
(٦) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٤٨
(٧) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٥٩

ولو كانت الهاء معها لجعلتها هاء، وذلك واضح غير خفيّ. (١)

ونجده يصرِّح بأن الرأي الذي ذكره لعالم آخر _ لأبي علي _ وأنَّه أخذ معاني قوله وخالف لفظه مع اعترافه بأنَّ لفظه هو الصواب وذلك في قوله الذي نفهم منه أنَّك إذا أعجمت حرف الجيم بنقطة من أسفل، والخاء بنقطة من فوق، وتركت الحاء خالية، فقد لوحظ بإغفالها أنَّها ليست جيمًا ولا خاءً، وسائر حروف المعجم نحوها. فلمّا دام البيان في جميعها جازت تسميته بتلك التسمية. وذلك كلُّه رأي أخذهُ عن أبي علي [ت ٣٧٧هـ]، وقد صرَّح بأنَّه قد أتى من الاشتقاق وغيره، في ذلك الفصل، بما هو معاني قول أبي علي، وإن خالف لفظه، وهو الصواب، الذي من المفضل أن يتَّبع و لا يذهب عنه إلى غيره. (٢) وقد عبَّر عن حرصه على استقصاء جميع ما يخص المسألة وأنَّه لم تفته فائتة في قوله الذي نفهم منه أنَّه لو عارض أحد بهنيهة، تصغير هنة، فذكر: ألستَ تزعم أنَّ الأصل هنيوة، ثم تحوَّلت إلى هنيَّة، ثم تحوَّلت إلى هنيهة، والقائل قد يقول: هنيهة في كلِّ محلٍّ يقول فيه هنيَّة، كان الجواب واحدًا: ألا ترى أنَّ هنيوة، لا ينطق به البتة، فسلك ذا مسلك وولج، في ترك استعماله و رفضه. فذلك كلُّه يؤكِّد عندنا أنَّ امتناعهم من توظيف آل في جميع مواضع أهل، إنَّما هو لأنَّ الألف كانت فيه بدلًا من بدل، كما كانت التاء بدلًا من بدل في القسم، فاعرفه، فإنَّ أصحابه _ بحسب ما ذكر _ لم يشبعوا القول في هذا، على ما أوردهُ، وإن كان بحمد الله على أمثلتهم يحتذي، وبهم يقتدي. (٣)

وكذلك قوله الذي أورده بعد أن ذكر أقوالًا على همزة التأنيث نفهم منها صحة الدلالة على كون تلك الهمزة منقلبة عن الألف وأنَّه قلَّما أفصح أصحابه ذلك الإفصاح عنه (٤). ففيه قد بيَّن حرصه على الإفصاح عمَّا لم يفصح به غيره لإقناع القارئ بطول باعه في معالجة اللغة المدروسة.

المبحث الثالث / أساليب الإقناع العقلانية:

تعمل هذه المهارات على لفت انتباه المتلقين عن طريق إعمال عقولهم وتقديم البراهين والحجج والاستدلال لإثبات سلامة الفكرة أو تفنيد الآراء المضادة بعد بسط النقاش وإظهار الجوانب المختلفة للمسألة التي تكون محط العناية ومن المهارات الإقناعية العقلانية:

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٦٠
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٥٣
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ١١٧_ ١١٨
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ١٠٣.

أ / القياس: والمراد به: قول مكَّوَّن من قضايا متى أُخذ بها لزم عنه لنفسه قول آخر. (١) ولثقل حمولة الإقناع في القياس بوصفه عمدة الطرائق الاستدلالية عمل ابن جني على مواصلة سعيه في مخاطبة العقول للحصول على موافقة المتلقين عبر القياس عبر ما يمتلكه من معرفة مرجعية وثقافة لغوية يقتنص منها ما يعينه على الحل. ومن النصوص التي تعلن عن فطنة واقتدار على تحليل أوضاع الكلم واتخاذ سبيل القياس النص الذي ذكر فيه مسألة إبدال حرف الواو من حرف الياء المبدلة عند الإتيان بمصغَّر الاسم المأخوذ من مصدر الفعل الذي على زنة (فاعلتُ) نحو (ضاربتً) و (قاتلتُ). إذ ذكر فيه ما نفهم منه أنَّك لو أتيتَ مصدر (قاتلتُ) ونحوه على أصله لقلتَ: (قِيتال) فقلبت ألف (قاتلتُ) ياء؛ لانكسار القاف، ثمَّ إنَّك لو سمَّيت بهذا المصدر، ثم صغرته لوجب أن تقول: (قُويتيل) فتقلب الياء واوًا، وتحذف الياء لحذف الكسرة التي وضعت قبلها. فإنْ قلتَ: فلمَ قلبتها واوًا وهي ليست منقلبة عن حرف الواو ؟ فالجواب: قلبت الياء واوًا بسبب زوال الكسرة من قبلها بحركة التصغير (الضمة) ولذلك لم يمكن إرجاعها إلى الألف لوجود الضمة قبلها، ولم يبقَ إلا الواو، فقلبت الياء إليها، فقلت: (قُوَيتيل). وقد وجَّه إلى ذلك بقوله: فاعرف هذا، ثمَّ قوله: وقسْ عليه ما شاكله (٢). ففي هذا النص نجد قياسًا شرطيًّا يعتمد التلازم بين أمرين وظَّف ابن جني الرابط (لو) الذي من شأنه الربط بين تركيبين بما يتعهد سبيل الإقناع. وقد جاء هذا الرابط في هذا النص حرف وجوب لوجوب يدلُّ على انتفاء الأمرين. (لو أخرجتَ) (لقلتَ)، و (لو سمَّيتُ) (لوجب). وقد وجَّه المتلقين بالقياس على ذلك صراحة في نهاية النص فالتفت إليه. والتفت إلى القياس الذي ذكره في نصٍّ آخر صرَّح فيه بعبارة: (فهذا أصلٌ مستمر) وبقوله: وهذا أيضًا أصل مستمر غير منكسر (٣) التي تدلُّ على أنَّ هذه القاعدة لا تنقطع ولا تتوقف يبنى عليها غيرها في الحالات المشابهة. ذكرها في سياق كلامه عن كون الواو لم ترد في كلام العرب (فاءً) و (لامًا) وهذا في قوله الذي نفهم منه: ليست في كلام العرب كلمة فاؤها واو ولامها واو إلا كلمة (واو) وأنَّه لم يأتِ عن العرب مثل: (وعوتُ) من جهة أنَّهم لو فعلوا هذا لاكتنف الوضع أمران ضدان، فتركوا هذا لذلك، وذلك أنَّ ما ماضيه على زنة (فَعَلَ) وفاؤه واو فعين مضارعه مكسورة، وفاؤه محذوفة، وهذا نحو: (وَعَدَ) و نحوه، تقول: (يعِد).

(١) ينظر: المنطق (المظفَّر): ٢٠٣.
(٢) ينظر: سر صناعة الإعراب: ٢ / ٢٤٠
(٣) المصدر نفسه: ٢ / ٢٤٤

فهذا أصل مستمر. في حين إذا كان الفعل الماضي على زنة (فَعَلَ) ولامه واو فعين مستقبله أبدًا مضمومة، وهذا نحو: (غزوتُ أغزو) و نحوه. وذلك أصل مستمر غير منكسر أيضًا، فلو بنوا مثل: بنية (وعوتُ) لوجب عليهم في صيغة المضارع أن يكسروا العين كما حرَّكُّوا عين (يعِد) وأن يضمونها كما ضمُّوا عين (يغزو) فلما كانت صياغتهم مثل (وعوتُ) تدعوهم إلى أن تكون العين في صيغة المضارع مكسورة مضمومة في موقف واحد رفضوه البتة فلم يصوغوه خشية أن يحتاجوا إلى التزام جمع بين كسرة وضمَّة في كلمة واحدة [١]. نفهم من هذا أنَّ ابن جني حرص على استمالة المتلقين عقليًّا عن طريق القياس الشرطي عبر الرابط (لو) الذي ربط بين تركيبين يتعلَّق الثاني بالأول كأنه هو. لاستحضار الإقناع.

ب / التَّعليل: مأخوذ من قولهم: تعلَّل بالأمر واعتلَّ تشاغل به [٢]والعلة والتعليل سبيلان في تفسير الظواهر اللغوية والخوض في تفاصيلها وبيان الأسباب التي أدَّت إليها. فالعلة حدث يشغل صاحبه . [٣] فعندما يعي العقل طبيعة الاستعمال اللغوي يقوم بتعليله بعرض التفاسير المقنعة للمتلقين. ومن يسأل عن مصدر العلل عليه التوجُّه إلى قول الزجاجي (ت٣٤٠هـ) الذي ذكر فيه أنَّ الخليل (رحمه الله) (ت١٧٥ هـ) سئل عن العلل: أعن العرب أخذها، أم اخترعها من نفسه ؟ فأجاب قائلًا: إنَّ العرب نطقت على طبيعتها وسجيتها، وعرفت مواضع كلامها، ونشأ في عقولها علله، وإن لم ينقل هذا عنها، واعتلَّ هو بما عندهُ أنَّه علة لما علله منه، فإن أصابَ فهو الذي التمسه، وإن تكن هناك علة غير التي ذكرها له؛ فمثله في هذا مثل رجل حكيم دخل دارًا عجيبة الأقسام والنظم، محكمة البناء، وقد صحَّت حكمة بانيها عندهُ بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة أو الخبر الصادق. فكلَّما وقف ذلك الرجل في الدار على موضع منها قال: إنَّما فعل ذلك هكذا لسبب كذا وكذا، ولعلّة كذا وكذا، خطرت بذهنه محتملة لذلك، وسنحت له، فإن سنح لغيره علة لما علله من (النحو) هو أليق ممَّا أورده بالمعلول فليأتِ بها. ثمَّ قال الزجاجيّ عن هذا الكلام بأنَّه: كلام مستقيم، وإنصاف من الفراهيديّ رحمة الله عليه. [٤] فهو يوجِّه دعوة إلى غيره في الاجتهاد بإيجاد العلل وعرضها. وهذا الأمر نتج

(١) ينظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
(٢) لسان العرب: ١٣ / ٤٩٦، وينظر: تاج العروس: ٨ / ٣٢ _ ٣٣.
(٣) العين: ٣ / ٢٢٠.
(٤) ينظر: الإيضاح في علل النحو: ٦٦

عنه غزارة تعليل الأحكام النحوية والقواعد وقد أشار ابن جني إلى ذلك في قوله الذي نفهم منه أنَّه ليس هناكَ حكم نحويّ ولا قاعدة من قواعد النحويين إلا بتعليل يقصر أو يطول أو يلتوي أو يعتدل على حسب إمكانية النحوي وتحكمه في زمام الجدل و اللغة. (١) ومن ينعم النظر في سر صناعة الإعراب يجد ابن جني اقتدى بمن سبقه في تعليل الظواهر اللغوية وتبنَّى منهجهم في إيجادها فهو يصرِّح في موطن بعد إيراد علةٍ معينة بأنَّ أصحابه لم يشبعوا القول فيه، على ما ذكره وإن كان _ بحمدِ الله _ بهم يقتدي، وعلى أمثلتهم يحتذي. (٢) ومن النصوص التي تشهد بوجود التعليل قوله الذي نفهم منه أنَّ السبيل إذا رمتَ اعتبار صدى الحرف، أن تجيء به ساكنًا؛ لأنَّ الحركة تقلقه عن مستقرّهُ و موضعه، وتجتذبه إلى ناحية الحرف التي هي بعضه، ثمَّ تدخل همزة الوصل عليهِ مكسورة من قبله؛ لأنَّ الحرف الساكن لا يمكن الابتداء به، فيقال: اِكْ. اِجْ. اِقْ. وكذلك بقيَّة الحروف، إلا أنَّ بعضها أكثر حصرًا للصوت من بعضها. (٣) ومنها النص الذي ورد فيه: أنَّ العلة في هذا أنَّك تجد الحلق والفم في ثلاث الأحوال، متعدد الأشكال، أمَّا الياء فتكون معها (الأضراس) سفلًا وعلوًا، اكتنفت جنبتي اللسان وضغطتهُ، وتفاجَّ (الحنك) عن ظهر اللسان، فسرى الصوت متصعِّدًا هناك، فلأجل هذه الفجوة ما استطال، وأمَّا الألف فيكون الفم والحلق معها منفتحين، غير معترضين على الصوت بحصر أو ضغط، وأمَّا الواو فتضمُّ معظم الشفتين لها، وتدع بعض الانفراج بينهما، ليخرج النفس فيه، ويمتدّ الصوت. فلما اختلفت أشكال الشفتين و الحلق والفم مع تلك الأحرف الثلاثة اختلف الصدى الصادر من الصدر. (٤) وكذلك النص الذي نفهم منه: إنَّما كان الأصل في الفعل: قام قوَم، وفي الفعل هاب هيَب، فلما اجتمعت ثلاثة أُمور متجانسة، وهي الفتحة، والياء، والواو، وحركة الياء و الواو، كره اجتماع ثلاثة أُمور متقاربة، فهربوا من الحرفين (الياء و الواو) إلى الألف وهو حرف تؤمن فيه الحركة، وسوّغها انفتاح ما قبلها أيضًا. فذلك هو العلة في قلب الياء و الواو في نحو: قام وهاب، لا ما ذكره السائل _ بحسب قوله _، من أنَّ (الفتحة) قويت على

(١) ينظر: الخصائص: ١ / ١٧٥
(٢) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ١١٨
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ١٩ _ ٢٠
(٤) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٢١

تغيير الحرف المتحرك. [١] وقال ابن جني: فمحال أن تكون الحركة قبل الحرف في المرتبة، وذلك أنَّ الحرف كالموضع للحركة، وهي كالعرض في الحرف، فهي لهذا محتاجة إليه، ولا يجوز حدوثها قبل حدوثه، وأيضًا لو كانت قبل الحرف لما جاز الإدغام أصلًا في الكلام؛ لأنَّها تكون حاجزة بين الحرفين فتبطل إدغام الحرف الأول في الثاني. وهذا يعني أنَّ جواز الإدغام في الكلام يدلُّ على أنَّ الحركة تكون بعد الحرف المتحرك بها وليست قبلهُ.[٢]

ت / الحوار الافتراضي: قد كان لابن جني طاقة بنائية ابتكارية فيه وهي مهارة تدعو لنفسها في سر صناعة الإعراب بكونها آلية إقناعية. ومن الواضح أنَّ هيكل حواراته الافتراضية انبنى على وجود طرفين متحاورين، لا تخلو المناولة الافتراضية بينهما من فاعلية في ترسيخ قيم الإقناع. مستندًا إلى إمكانيته على أن يجرِّد من نفسه نفسًا متكلمة يفترض قولها، حيث يكترث ابن جني إلى اعتراضات المتلقين واستفساراتهم فيستحضر الأجوبة عنها في ظلِّ حرص على كشف الصواب فيعرض الأجوبة بإمكانية واضحة عبر ذات ناطقة في تشكيلات حوارية مفترضة. وقد يكون المحاور هو المتخيَّل من قبل ابن جني يجعله في ذهنه حينما يحدِّد استراتيجية النص فيستحضر كفاياته ويتوجَّه إليه بكونه محاورًا افتراضيًا وجودًا إلا أنَّ له استحضارًا فعليًا بما يتمتَّع به من كفاءة في التواصل. ومن الجدير بالذكر أنَّ حضور المرسل إليه بهذا النمط المفترض يجعل الخطاب صنفًا من أصناف الحجاج التقويمي: والمراد به حجاج على خطاب (متوقع) من مخاطَب متخيّل يفترض المخاطِب وجوده مراعاةً لأي اعتراضات قد يعارضه بها بالاعتماد على معرفته بعناصر السياق وبه [٣]. وهذا سبيل استدلالي حفِّز عبره ابن جني المتلقين على التصديق والاقتناع. ومن النصوص التي وردت فيها هذه المهارة نصّه الذي افترض افتراضًا فيه قائلًا: فإن قيل: إنَّ جميع الحروف ليس معجمًا، إنَّما المعجم بعضها، ألا ترى أنَّ الألف، والدال، والحاء، ونحوها، ليس معجمًا، فكيف استجازوا تسميتها جميعها حروف المعجم ؟

قيل: سميَّت بهذا؛ لأنَّ المظهر الواحد إذا تباينت أصواته، فأُعجمت بعضها، وأُهملت بعضها، فقد علم أنَّ ذلك المهمل بغير إعجام، هو غير هذا الذي من شأنه أن يعجم. فقد

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٣٧.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٤٣
(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٤٧٣.

ارتفع عنها جميعًا إذن بما قاموا به الاستبهام والإشكال. [1] وورد الحوار في قوله الذي افترض فيه افتراضًا قائلًا: فإنْ قلتَ: فقد نجدهم يقولون: يَأمر، و يَأخذ، ويَأكل، فيفتح حرف الياء، ويسكِّن ما بعهده. وإذا أمروا قالوا: مُرْ، و خذ، وكلْ، بلا همزة وصل. فالقول في ذلك: أنَّ أصله " أُومر" و" أُوخذ" و " أُوكل «، فلمَّا اجتمعت همزتان، وشاع استعمال المفردة، سقطت الهمزة الأصلية، فذهب الساكن، فاستغني عن حرف الهمزة الزائدة، وأُخرجن عن الأصل، : " أُوْمر» و" أُوخذ"، و " أُوكل» [2]. وافترض في سياق كلامه عن اختيار الهمزة للابتداء بها افتراضًا قائلًا: فإنْ قال قائل، متسائلًا: ولمَ اختيرت ليكون الابتداء بها، دون سواها. فالجواب: أنَّهم أرادوا حرفًا يترك في الوصل، للاستغناء بما قبله عنه، ويتبلَّغ في الابتداء به، فلما اعتزموا على ذلك، جعلوه الهمزة،؛ لأنَّ العادة فيها حذفها للتخفيف في أغلب الأحوال، وهي مع هذا أصل، فكيف بها وهي زائدة، ألا تراهم تركوها أصلًا في نحو: مُرْ، و خُذْ، وكُلْ، وناس، وويلمِّه، والله في أحد قولي أبي بشر [3].

ونخلص إلى القول: أنَّ ابن جني عبَّر عن وعيه بمفهوم (الإقناع) عن طريق إمكاناته اللغوية التي من شأنها جذب عقول المتلقين وذلك بما احتوت تلك الإمكانات من قيم فكرية ووجدانية.

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٥٣
(٢) ا ينظر: المصدر نفسه: ١ / ١٢٥
(٣) المصدر نفسه: ١ / ١٢٦.

الخاتمة

_ تجلَّى فعل الإقناع في (سر صناعة الإعراب) في استدعاء ابن جني لأغلب أنماط الصيغ اللغوية التي من شأنها جعل التواصل ناجحًا، ويكون المرسل إليهِ متقبِّلًا الآراء اللغوية المقترحة.

_ راعى ابن جني المقام وأحوال المتلقِّين من أجل تفنيد القضايا أو إثبات صدقها؛ إذ كان على دراية أنَّه أمام خطاب يتطلَّب منه أُسلوبًا مرنًا يمتلك عبره القدرة على تطويع أفكار متلقيه اتجاهه، وهذه الدراية قادت إلى جعل خطابه التعليمي متميِّزًا بتنظيم ودقة، وأدَّت إلى حقيقة مفادها أنَّ المقدِّمات المعروضة تخدم النتائج والعكس من دون التزام في الترتيب وبارتكاز على حجج وأدلة لإثبات مضامين المسائل اللغوية ونقلها إلى المتلقين. وهذا يدلُّ على امتلاكه المقدرة الإقناعية فوق قدر الكفاية.

_ جاءت معالجاته للقضايا اللغوية موزَّعة على ركيزتين منسجمتين: ركيزة فنية معنية بأساليب التعبير والصياغة، وركيزة أخلاقية تستوعب أخلاق المعاملة بتعدد مستوياتها وتنوع مراتب المتلقين.

_ كانت لصيغة (اعلم) معطَّيات دلالية وتداولية تجتمع في نصوصه حينما أوردها مبتدأً بها في بعض أبواب كتابه وحينما ضمَّنها في ثنايا طروحاته؛ وذلك لجذب المتلقِّين وشدّ انتباههم فهي تعدُّ قالبًا تعليميًا توجيهيًا.

_ إنَّ ابن جني كان بليغًا في السعي إلى إقناع المتلقين باعتماد الحوار الافتراضي الذي يشير إلى اعتماد الرياضة الفكرية في التفاعل والتواصل مع الآخر.

_ إنَّ حضور المتلقِّين في نصوص ابن جني بالصورة المفترضة جعل الخطاب موجَّهًا توجيهًا حجاجيًّا من نوع الحجاج التقويمي.

المصادر والمراجع

_ القرآن الكريم.

- الكتب:

_ أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري، دار بيروت للطباعة والنشر _ بيروت، ١٩٨٤م.

_ أساليب الإقناع في القرآن الكريم، طاهر بن عيسى، ط١، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان _ الأردن، (١٤٢٧هـ _ ٢٠٠٦م).

_ استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة _ بيروت، ٢٠٠٤ م.

_ أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، ط١، مطبعة المدني _ القاهرة، ودار المدني _ جدة، ١٩٩١م.

_ الأُسلوب: دراسة بلاغية تحليلية لأُصول الأساليب الأدبية، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٦، ١٩٦٦م.

_ الإقناع الاجتماعي، عامر مصباح، ديوان المطبوعات الاجتماعية، الجزائر.

_ الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، تح: مازن مبارك، ط٤، دار النفائس _ بيروت، ١٤٠٢ هـ _ ١٩٨٢م.

_ البيان والتبيين، للجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي _ القاهرة، ١٤١٨هـ _ ١٩٩٨م.

_ الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، إبراهيم أبو عرقوب، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، الأُردن، ط١، ١٩٩٣م.

_ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة _ بيروت، ١٣٩١هـ.

_ تاج العروس، الزبيدي، ط١، دار ليبيا للنشر والتوزيع _ بنغازي.

_ التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي _ بيروت،

١٩٩٦م.
_ التعريفات، القاضي الجرجاني تح: جماعة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، ١٤٠٣ هـ _ ١٩٨٣م.
_ تكوين الخطاب، صابر الحباشة، ط١، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ٢٠٠٧م.
_ الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه _ سامية الدريدي، ط١، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي _ أربد، ١٤٢٨ هـ _ ٢٠٠٨ م.
_ الخصائص، ابن جني، تح: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية _ بيروت، ١٤٢١ هـ _ ٢٠٠١م.
_ دراسات في علم النفس الاجتماعي، عبد الرحمان عيسوي، ط١، النهضة العربية _ بيروت، ١٩٧٤م.
_ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، سلسلة الأنيس موفم للنشر، الجزائر، ١٩٩١م.
_ الذات الناقدة في النقد العربي القديم، د. ظافر الكناني، ط١، نادي أبها الأدبي الثقافي، ٢٠٠٩م.
_ سبع قراءات في كتاب سيبويه، أ. د. رجاء عجيل الحسناوي، ط١، العراق، ١٤٣٦ هـ _ ٢٠١٥ م.
_ سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢ هـ) تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وشاركه: أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية _ بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.
_ ضوابط المعرفة وأُصول الاستدلال والمناظرة، الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط٢، دار القلم _ دمشق، ١٤٠١ هـ.
_ العلاقات العامَّة للأُسس والمبادئ، الصرايرة محمد نجيب، مكتبة الرائد العلمية، الأُردن ٢٠٠١م.
_ العين، مرتبًا على حروف المعجم، تصنيف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب _ بيروت.
_ فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، الوليد ابن رشد، تح: محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع _ القاهرة، ط٣، ١٩٨٦م.

_ فن الإقناع، هاري ميلز، ط١، مكتبة جرير، ٢٠٠١م.
_ قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، محمد عبد المطلب، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٥م.
_ لسان العرب، لابن منظور (جمال الدين)، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي _ بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.
_ مختار الصِّحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرَّازي، دار الرسالة _ الكويت، ١٤٠٣ هـ _ ١٩٨٣م.
_ مدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، ط١، مطبعة دار الكتب، ١٤١٣ هـ _ ١٩٩٢م.
_ المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم الملايين_ بيروت، ط١، ١٩٧٩م.
_ المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة _ بيروت، ١٩٨٢م.
_ المعرفة والتواصل من آليات النسق الاستعاري، أحمد العاقد، ط١، دار أبي رقراق للطباعة والنشر_ تونس، ٢٠٠٦ م.
_ من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، معتصم بابكر مصطفى، كتاب الأُمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ط١، ٢٠٠٣م.
_ المنطق، الشيخ محمد رضا المظَّفَر، دار التعارف، ١٤٢٧ هـ _ ٢٠٠٦ م.
_ منهاج البلغاء وسراج الأُدباء، حازم القرطاجني، تح: محمد بن الخوجة، دار الكتب الشرقية _ تونس، ١٩٦٦م.

الرسائل الجامعية:

_آليات الإقناع في الخطاب القرآني (سورة الشعراء نموذجًا) دراسة حجاجية، (رسالة ماجستير) للباحث: هشام بلخير، جامعة الحاج لخضر _ باتنة (الجزائر)، ٢٠١١_ ٢٠١٢م.
_ أساليب الإقناع في القرآن الكريم مع دراسة تطبيقية لسورة الفرقان، للباحث: ابن الطاهر، بن عيسى، رسالة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب، جامعة الأردن، ١٩٩٠م.

المصادر والمراجع الأجنبية:

_ Grand Larousse encyclopedique, Librairie Larousse. paris. 1984.

_ Lazar, Judith, Sociologie de le communication de masse, Armand Colin, Paris, 1991.

_ Nouveau dictionnaire analogique, Reference Larousse, Paris, 1981.